اجراس رأس السنة

للايدي مورييل بويل الانكليزية عربها للعلامة عيسى افندي وزيريان

انّ سكون الليل ووحشته يتبددان باصوات الاجراس عندما تطرق فجأة فتحمل تموجاً عنيفاً بين طبقات الهواء يصل تاثيره الى قمم التلال المكتسية بالثلج والسهول الفسيحة والبحر الذي يسكب البدر عليه سناء الفضي ، لما تدوي بصوتها الشديد مترحبة بقدوم السنة الجديدة وما تحمله معها من السرور والحزن ، من المرض والصحة ، من البين واللقاء ومن الموت والولادة ، لما تدوي فيصل صوتها الى أذني المحب الخاطب وهو واقف امـام خطيبته متفرساً في عينيها اللامعتين يعدها بالسعادة وبكل عناية ومحبة يمكن ان يبذلها الزوج لزوجته . لكنها بينما تقف هي صامتة مصغية الى وعوده التي يلقيها عليها بتأثر شديد يراقب ملاك الموت حركاتها على غير علم منهما وقبلما ينقضي الحول الذي يرجوان ان يجدا السعادة بين طياته يودعها الوداع الاخير وكلما بقي له منها ذكرى رقتها ومحبتهـا وجمالها . ومن يقدر ان يجزم بان السعادة التي كان يعدها بها لما كانا يسمعان صوت الاجراس ستكون هي مصدرها الاعظم ؟ ان الدهر يشغو عليه فيشفي كلومه وقبلما تطرق اجراس راس السنة ثانية يجد له نفساً لطيفة تشاطره الحياة المنزلية وتعيد سعادته ايضاً وان كان غير قادر على نسيان عهد هيامه الاول

اصغوا ! هوذا الاجراس تطرق وصوتها يدوي فوق مخادع الاولاد الذين يتنبهون من نومهم وينهضون قليلاً من اسرتهم الصغيرة ويتحسون في سرهم مرحبين بالسنة الجديدة اللامعة لانها تجلب لهم بقدومها الهدايا التي يحبونها والدموم بجانب تلك الاسرة ، اولئك الوالدون الذين سرورهم الاعظم هو ان يجعلوا فلذات

اكيادهم سعيدين ! انظروا ! انهم يبتسمون حالمين بمستقبل سعيد — بالهناء والصفاء ! يحلمون عن طابات الثلج وعن التزحلق والرقص وعن جميع المسرات التي يمنحها الغنى والمحبة ! ولكن بينما تمرّ هذه الاصوات فوق رؤوسهم اللطيفة يتنهد هنالك ولد صغير وكأني به لا يفقه معنى لتنهده — ذلك لان الحياة لا تجلب له المسرات والافراح !

« اصغوا الى اصوات الاجراس ! » هذا ما يقوله الزوجان اللذان دغدغتهما الاحقاب العديدة ببعضها بلحام الحب وتشاطرا حمل اعباء الحياة الطويلة وما فيها من حلو ومرّ والآن قد زعزعت السنوان بنيانهما . هذان الشيخان اللذان امسيا جسداً واحداً بنفس واحدة يرجوان رجاء اكيداً انه لما يقصدهما هادم اللذات ومفرق الاحباب لاخذ احدهما سوف لا يهمل الاخر ايضاً لانهما يعلمان علم اليقين بانهما قد قطعا شوطاً بعيداً في سياحتهما في هذا العالم حتى انهما بلغا الحد الذي لا يفترق عنده احدهما عن الاخر طويلاً . وصوت الاجراس يعيد اليهما ذكرى امور عديدة اصبحت في حكم احلام طرأت عليهما في الماضي: يعيد اليهما ذكرى ابنهما الجندي الجميل الشجاع الذي وقع صريعاً في ميدان الوغى اثناء دفاعه عن بلاده وترك فراغاً في قلبيهما المحبين — ذلك الفراغ الذي لم يملئه شيء وان كان الدهر قد برّد حرارة آلامها بيده اللطيفة . ثم تجول افكارهما الى ان تصل الى ابنتهما اللطيفة التي اخذت من بين ايديهما لما بلغت رشدها — في الوقت الذي اشار الحب اليها باصبعه فتركتهما وذهبت . ثم ياخذهما ائتلاف الافكار الى ابنتهما الاخرى المحبوبة العزيزة التي اصبحت زوجاً واماً يحيط بها اولادها ويعبدها زوجها بمحبته الشديدة لها . ثم تنتهي سلسلة تأملاتهما عند ابنهما البحري الثاني عنهما في اقطار بعيدة والذي يحسبان زيارته القصيرة الى

بيته القديم اجمل واسعد شيء لها في ايام السنة ·

ثم يمرُّ صوت الاجراس فوق كوخ منفرد حيث يوجد سرير حقير تضطجع عليه امرأة محتضرة تصلي لكي يصرم الله انفاسها حتى تخلص من حياتها الممتلئة بالاوجاع والشقاء وتحسب نفسها سعيدة مسرورة اذا انت سنة اخرى ووجدتها قد فارقت هذا العالم وتركت حزنها والمها وشقاءها وراءها

ولم تزل هذه الاجراس تطن وصوتها يحمل مع هبوب الريح الى ان يصل الى المراقص المزدحمة بطلاب المسرات الفارغة الفانية والى المستشفيات الخاصة بالمرضى حيث الممرضات اللطيفات يعتنين بالمرضى المتألمين بمحبة كلية والاطباء المشفقون يبذلون كل ما في وسعهم اقله لتخفيف الآلام التي لا يقدرون على شفائها· هؤلاء جميعهم يقفون هنيهة مصغين الى اصوات الاجراس التي تدوي وبهدوء تغتم الممرضات مترجيات بالرجاء والسعادة المقبلين ويتعزين بانهن اذا لم يتمكن من نوال ما يتوقعنه في هذا العالم سوف ينلنه في العالم المقبل · والبعض الاخر يتوسلون الى الله ليأخذهم من هذه الارض الممتلئة بالاشجان والتعاسة وغيرهم يصلوا ليتخلصوا من البلايا التي نزلت بهم حتى يرجعوا الى بيوتهم واحبابهم الذين يفتكرون الان بهم ويصلون من اجلهم

وهكذا تسرع الرياح في سيرها حاملة صوت الاجراس الذي يتلاشى بتفرقه في فضاء الاوقيانس الشاسع الوسع · عجباً كم الذين يصغون الان الى اصوات اجراس راس السنة يرجع صدى نغماتهم المحزنة اللطيفة اليهم برسالة اخيرة هي سلام ورجاء ومحبة ؟